الرسائل النادرة

١ - اعلام الكلام

مكتبة الخانجي
لأصحابها أولاد محمد أمين الخانجي
بشارع عبد العزيز بمصر

طبعة أولى

١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م

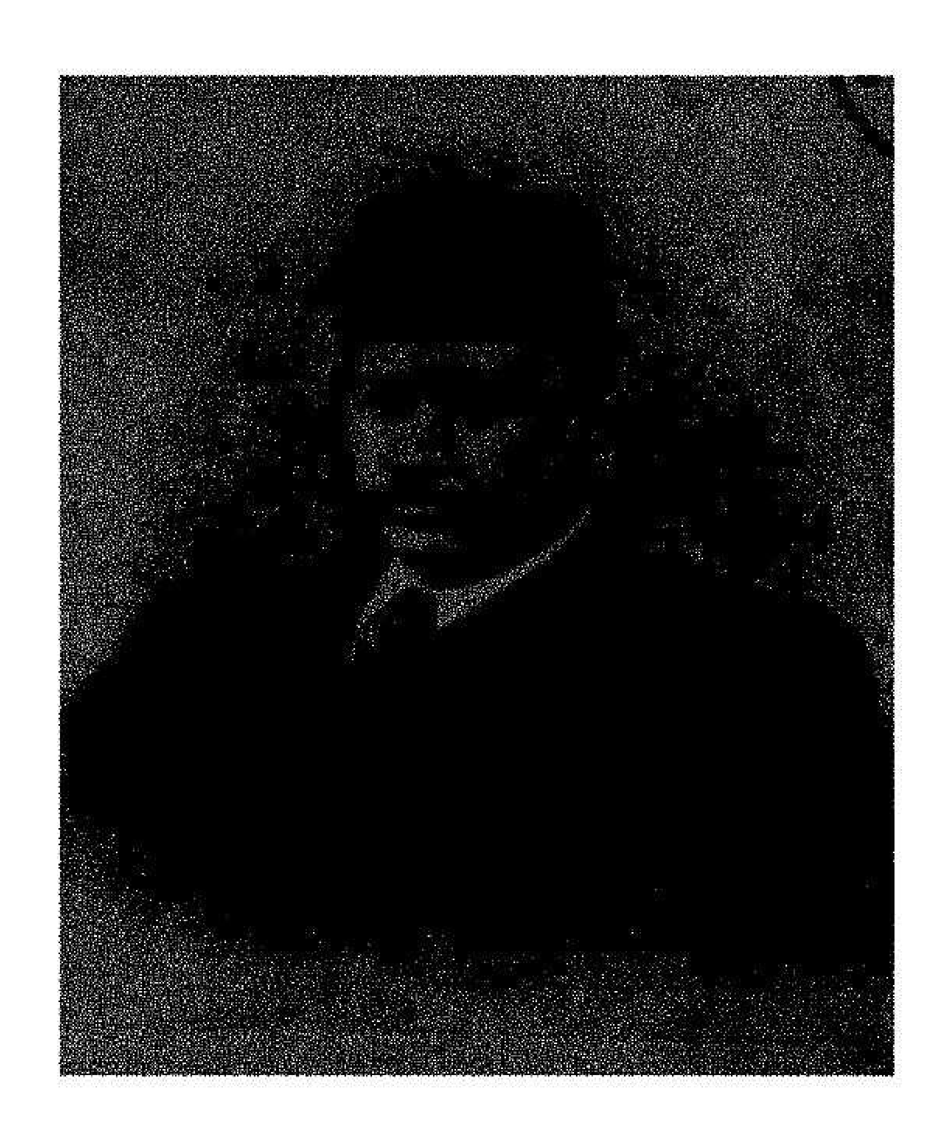
مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز بمصر
خلف عمر افندي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم هب لنا بجودك ومجدك روح القلب بنور العقل ، وسكون البال ببصيرة النفس ، وصواب القصد بالثبات فى السعى ، وبلوغ الغاية بصحة العزم . ونيل المراد بدوام الصبر

وبعد هـذه هى الباكورة الاولى من سلسلة الرسائل النادرة التى اعتزمنا - بحول الله وقوته - على اصدارها واتحاف الاخصائيين من أهل الادب العربى بها الفينة بعد الفينة ، سالكين النهج الذى قصده الوالد منذ ستة وعشرين عاماً ، نهج احياء مآثر السلف بنشر أمهات الكتب ونوادر الرسائل ، راغبين فى اتمام حلقة سعيه وكده فى هذا المضمار ، متزودين بروح الشباب ، وما تبعثه هذه الروح فينا من الامل بالمستقبل فان أينع الأمل ، وصلنا الغاية التى ننشدها وينشدها معنا كل محب لبلاده غيور على ذخائر أسلافه وإلا فان لنا من حسن النية خير شفيع والسلام

أولاد محمد أمين الخانجى الكتبى



حضرة صاحب السعادة أحمد طلعت بك الافخم

– صفحة الشكر الخالد –

نريد أن نثبت فى هذه الصفحة البيضاء شكرنا وامتناننا لصاحب السعادة أحمد طلعت بك الاخ، نجل المرحوم احمد طلعت باشا، فقد كان من أول المشجعين المشروع، الآخذين بيده قولا وفعلا . تكرم سعادته فأمدنا بالاصول الخطية للرسالتين الادبيتين اللتين ننشرهما اليوم كما وعدنا بأن يمدنا برسائل أخرى تعد من أمهات الكتب التى تفاخر بها خزانته العلمية خزائن الكتب فى عموم بلاد الشرق .

وقد رأينا من حسن الثناء وجميل الافصاح بالشكر، أن نزين مقدمة المشروع بالتنويه عن الاعمال الجليلة التى تتخلل حياته الطيبة الطاهرة، والمبرات والخيرات التى يقدمها لابناء جنسه بتواضع وثبات . فالكون معترك تشحذ فيه مواضى العزمات وميدان تتبارى فيه قوى المجهودات، بحر ضخم تتلاطم فيه أمواج الهمم . والناس فيه أحد رجلين : اما خامل فاتر الهمة، يرسب بتوالى الايام فى قرار ذلك المحيط، فيظل نسيا منسيا تحت أطباق تلك الامواج واما عامل نشيط يصعد مع زبد هذه الامواج الى الاوج فيترك فى الحياة أثرا محمودا يحيى ذكره الى الابد .

فمن هؤلاء العاملين أصحاب النفوس الكبيرة، صاحب الترجمة (احمد بك طلعت) فقد رزق من الهمة أعلاها ومن حسن القصد أشرفه نظر سعادته الى قول الشاعر :

وما المرء الا حيث يجعل نفسه   فكن طالبا فى الناس أعلى المراتب

وعلم أن المرء لافضل له فى ذاته على غيره من المخلوقات، بل فضله بما

أوتيه من المواهب وما يأتيه لخير الانسانية من المصالح والمنافع ، فوطن النفس على خدمة بنى جنسه من طريق تعضيد العلم والادب وكان له من ماله الذى ورثه عن آبائه الا كرمين وثروته الخاصة التى جمعها بذكائه وسعيه فى الحياة ، خير معين على بلوغ أمنيته ، فلم يمض عليه زمن كبير حتى عرفناه فى أوائل العاملين لخير الانسانية ، الخارجين عن أموالهم وما آتاهم الله من سعة الرزق والفضل ، فى سبيل الخيرات والمبرات والاعمال النافعة التى تخلد ذكراها مدى السنين والاعوام .

مولده ومنشؤه

وُلد حضرة صاحب العزة احمد بك طلعت فى يوم الثلاثاء ١٠ أكتوبر سنة ١٨٥٩ ميلادية بسراى والده العامرة الكائنة على ضفاف ترعة المحمودية بالثغر الاسكندرى من أبوين كريمين وقد شب على فراش العز والمجد وتربى تربية راقية برعاية والده المغفور له احمد طلعت باشا فكان المثل الاعلى فى الشرف والنبل . وتلقى علومه الاولية فى منزل والده على خيرة رجال العلم والعرفان ومهذبى النفوس فتعلم مبادىء القراءة والكتابة واستظهار ما تيسر من القرآن الشريف وفى سنة ١٨٦٨ أدخله والده مدرسة والدة ساكن الجنان المرحوم عباس باشا الاول فدرس بها ربيعاً واحداً ثم التحق بمدرسة المبتديان الكائنة بالناصرية فى ذلك الحين حيث درس بها ربيعين كاملين ، كان أثناءهما مثال الذكاء النادر والادب الجم ودخل بعد ذلك المدرسة التجهيزية (السلطانية الآن) ودرس بها أربع سنوات .

وقد عرف صاحب الترجمة بالفضل والنبوغ والسجايا الكريمة فأمر

المغفور له اسماعيل باشا الخديو الاسبق بتعيينه بقلمى « توكى ومهمه » بالمعية السنية تحت التدريب والتمرين وكان ذلك فى آخر عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا . وحينما تبوأ عرش الخديوية المغفور له محمد توفيق باشا كان صاحب الترجمة من الذين نبغوا فى قلمى « توكى ومهمه » بعناية ورعاية المرحوم محمد رشيد بك ناظر القلم المذكور فأصدر أمره الكريم بتعيينه بقلم توكى المعية السنية فكان المثل الأعلى فى الاستقامة والوقار وأنعم عليه بالرتبة الرابعة فى ١٧ أغسطس سنة ١٨٧٩ ميلادية . وفى ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٨٢ ميلادية أنعم عليه بالرتبة الثانية مكافأة له على اتقان أعماله وأداء واجبه والقيام به خير قيام، وكان على الدوام مشمولا بعناية المرحوم ساكن الجنان توفيق باشا، محبوبا لديه لصدقه وجميل صفاته . وفى ٧ فبراير سنه ١٨٨٣ ميلاديه أنعم عليه بالنيشان العثمانى من الطبقة الرابعة لما عهد فيه من النشاط والذكاء والهمة العالية واستمر فى معية المغفور له الخديو توفيق باشا أربعة عشر عاما كان خلالها مشكاة للاعمال وينبوعا فياضا للكمال ومساعداً امينا للمرحوم محمد رشيد بك ناظر قلمى (توكى ومهمه)

وفى سنة ١٨٩٢ ميلادية انفصل صاحب الترجمة عن المعية ليتفرغ لمهام اعمال دائرته واشغالها الخصوصية دون ان يوجه فكره الى مركز من المراكز أو يتطلع الى رتبة من المراتب محافظاً على مكانته متمسكا بعزة نفسه الأبية

وفاة المرحوم والده احمد طلعت باشا

ولما اختار الله المرحوم والده فى يوم الاحد ١٤ اغسطس سنة ١٩٠٤ ميلادية تولى صاحب الترجمة بعده شؤون ادارة وقف والده بالصدق

والامانة والنزاهة النادرة والمحافظة على كيانه مع تنفيذ شروط الواقف بغاية الدقة والنظر الصحيح والعقل الراجح والفكر الثاقب . ولصاحب الترجمة حفظه الله من الاعمال الخيرية الجليلة والبر بالفقراء والاحسان والمواساة للمساكين والبؤساء ومعاونة العائلات التى أخنى عليها الدهر ماتشهد به مرآة التاريخ

فان فاخرتنا امريكا بأغنيائها وعظمائها الذين يخرجون عن مئات الألوف من أموالهم ، فى سبيل الانسانية والجامعة البشرية العامة ، فلنا من امثال احمد بك طلعت مانفاخر به أولئك الذين ستلهج بذكرهم الأجيال وردد الأبناء اسماء هم وأعمالهم وجهودهم بالتجلة والاعظام .

احمد بك طلعت عامل خير لا لمصر فحسب ، بل للجامعة الاسلامية والشرق أجمع . وحسب القارىء أن يعلم أن همته العالية دفعته لتأسيس مكتبة عامة فى مصر ستكون مفخرة الجيل الحاضر ومعجزة الشرق

ففى مصر اليوم نهضة علمية مباركة ترمى الى اعادة مجد السلف بتشييد دور الكتب واقتناء نفائس المؤلفات لارجاعها الى مثل مكانتها الاولى ، أيام الفاطميين والأيوبيين ، بفضل فريق من أهل الفضل والأدب ، تشبعوا بالحضارة الحديثة وتزودوا من الحضارة القديمة ، فأتوا من جلائل الأعمال ما أعجب به الغرب قبل الشرق . نخص بالذكر منهم حضرة العالم البحاثة سعادة أحمد باشا تيمور ، وحضرة صاحب السعادة أستاذنا العلامة احمد زكى باشا مؤسس المكتبة الزكية ، وحضرة الشاعر البليغ صاحب العزة نور الدين بك مصطفى ، وسعادة جعفر باشا والى ، والاستاذ الشهير مصطفى بك المكاوى المحامى ، وصاحب العزة احمد بك

دبوس ومن اليهم من أهل الفضل والعرفان. الا انه لايسعنا الا أن نقول بأن أصحاب السعادة زكى باشا وتيمور باشا ونور الدين بك، لهم فضل الاسبقية بل هم حملة لواء هذه النهضة لان لكل منهم مكتبة خاصة تقدر مجلداتها بالآلاف، ولكل من هذه المكاتب مزية تختلف عن الاخرى بمزايا لاتوجد فى غيرها . أما مكتبة صاحب الترجمة فقد أنشأها لتكون عروس مكاتب الشرق، يستفيد منها الخاصة والعامة، فضم اليها امهات الكتب من كل فن وعلم ومطلب لانه حفظه الله اراد ان يغتنى بها عن الرجوع الى غيرها

ومن مميزاتها انها تحتوى على أكبر مجموعة من آثار أكابر الخطاطين فى الشرق من جميع الأنواع وقد كبرت تلك المجموعة بما ضمه اليها أخيرا من مكاتب سلاطين آل عثمان وكنوز الصدور الفخام حتى أصبحت الآن حاوية لآثار مئات من مشاهير الخطاطين والمذهبين والمجلدين وهذه مزية لايستهان بها ولا أبالغ اذا قلت انها أكبر مجموعة من نوعها لا فى الشرق فقط بل فى جميع العالم. واذا فاخرتنا نابولى وروما باثارهما الفنية ومجموعات الصور المعروضة فى متاحفهما فان لنا من مكتبة احمد بك طلعت (متع الله الادب والعلم بحياته) مانفاخر به أعظم المتاحف الفنية

وبالاجمال فالمكتبة تحوى كل نفيس وقيم ومهما أسهبنا فى وصف آثاره ومآثره نكون كالمخبرين عن ضوء النهار الزاهر والقمر الباهر اللذين لايخفيان على كل ناظر وانى لموقن بانه حيثما انتهى بى القول فمنسوب الى العجز، مقصر عن الغاية . ولذلك أنصرف من الثناء عليه والتنويه بمزاياه الى الدعاء له راجيا من الله ان تطول ايام سعادته لينفع القطر المصرى بعلمه وعمله م؟

عبد العزيز الخانجى

اعلام الكلام

تصنيف

أبي عبيد الله محمد بن شرف القيرواني

منقول باذن خاص عن الاصل المحفوظ بدار كتب

سعادة احمد بك طلعت

أدامه الله ذخراً للعلم والادب

عنى بتصحيحه وضبط ألفاظه

عبد العزيز أمين الخانجي

— نسخة ما هو مكتوب فى طرة الاصل —

كتاب «مسائل الانتقاد بلطف الفهم والافتقاد» تأليف الامام البارع الماهر أبى عبيد الله محمد بن شرف القيروانى ، على لسان أبى الريان الصلت بن السكن من سلامان ، وهو إعلام الكلام . رحمهما الله تعالى وأنزلهما غرف الجنان بمنه وكرمه

برسم المجلس السامى الاميرى المخدومى الرئيس
فخر الاماثل ، حاوى الفضائل ، حائز فضيلتى السيف والقلم
بهرام افندى مقابل الدفاتر السلطانية بالشام المحروس
ادام الله تعالى سموه وكبت عدوه

وكتبه المصطفى ابن محب الدين الشافعى
لطف الله تعالى به بمنه وكرمه

كلمة للقارىء

في التعريف بهذا الكتاب ومؤلفه

ابن شرف القيرواني صاحب هذه الرسالة، هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن احمد بن شرف الجذامي القيرواني، من البيوتات الشريفة التي قدمت مع الجيش العربي لفتح القيروان. تنفس صبح الحياة في أواخر القرن الرابع للهجرة والقيروان اذ ذاك في عنفوان حضارتها تزهي بالعلوم. وتزهر بالمعارف والفنون. فأخذ العلم عن أفاضل عصره، أمثال: أبي الحسن القابسي، وأبي اسحاق ابراهيم الحصري القيرواني، ومحمد بن جعفر القزاز. فبرع وأجاد وبذ غيره من الاقران، حتى أصبح موضع عناية المعز بن باديس الصنهاجي أمير أفريقيا. فالحقه بديوان حاشيته، وهناك التقى ابن شرف بجماعة من الكتاب والشعراء الذين كان يجمعهم ديوان الأمير، مثل: على بن أبي الرجاء وأبي الحسن بن رشيق، ومحمد بن حبيب القلانسي. فكان وجود أمثال هؤلاء الادباء في حظيرة واحدة، داعية الى التنافس، مشجعة الى شحذ القرائح، مسببة لاحداث نهضة فكرية عظيمة الاثر في تلك الربوع، مما يحفظه لنا التاريخ الى يومنا هذا، فكم من مساجلات ومناظرات، وكم من منافسات ومباريات، كانت تجرى في حضرة المعز بن باديس !!

واستمر ابن شرف في خدمة المعز الى ان زحف عرب الصعيد على القيروان سنة ٤٤٩ هـ ففر الامير الى المهدية واتخذها دار ملكه. فأقام ابن شرف مدة بالمهدية مع زمرة شعراء الامير ثم رحل عنها الى جزيرة صقلية فنال رعاية وعطفا من أميرها وهناك اجتمع أيضا برصيفه ابن رشيق الذى لحقه اليها أملا في رفد أميرها ونواله. فتصافيا بعد التهاجى وتسامحا بعد

التمادى ، ثم رحل الى الاندلس فسكن المرية وغيرها وتردد على ملوك طوائفها كآل عباد باشبيلية وغيرهم . وبهذه المدينة كانت وفاته سنة ٤٦٠ هـ

وله تآليف كثيرة . منها : كتاب أبكار الافكار جمع فيه ما اختاره من نظمه ونثره . ومنها كتاب إعلام الكلام الذى ننشره اليوم بين يدي القارىء الكريم وقد سبق لأحد أفاضل التونسيين وهو (حسنى أفندى عبد الوهاب) ان نشره فى مجلة المقتبس تحت اسم رسائل الانتقاد وقد خيل لحضرته ان رسائل الانتقاد هذه هى غير إعلام الكلام كما أشار بذلك فى مقدمته . ونسخته كما يقول منقولة عن نسخة تونسية تشتمل على ستين صفحة . قال : انه يلوح من شكل خطها أنها من القرن السابع للهجرة وانها صعبة القراءة لانطماس الاحرف ودثور الكتابة . فضلا عما لحق الورق من البلى . وقد أكملها حضرته من مكتبة الاسكوريال ومع كل ذلك فقد وجدنا بمطابقتها على النسخة الخطية التى اعتمدنا عليها فى الطبع أنها كثيرة النقص والتحريف فى مواضع شتى كما سيرى القارىء

وقد وضعنا ماوجدناه فى مختلف النسخ من الالفاظ بين قوسين ونبهنا فى الهامش على مواضع النقص من النسخة التونسية . وفى يقيننا ان النسخة التى بين يدى القراء هى أصح النسخ وأضبطها . لانها منقولة عن نسخة خطية صحيحة ، ملوكية . كتبت برسم أحد أعيان الشام وبخط عالم من كبار علمائها وقد ترجمه صاحب خلاصة الأثر فى الجزء الرابع صحيفة ٣٦٥ وقال : (كان من اجلاء الفضلاء الذين جدوا فى الاكتساب وأفادوا من الفضائل مايعز اليه الانتساب) م؟

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال أبو عبدالله محمد بن شرف القيرواني : هذه أحاديث صغتها مختلفة الانواع ، مؤتلفة في الاسماع ، عربيات المواشم ، غريبات التراجم ، واختلقت فيها أخباراً فصيحات الكلام ، بديعات النظام ، لها مقاصد ظراف ، وأسانيد طراف ، يروق الصغير معناها ، والكبير مغزاها ، وعزوتها الى أبي الريان الصلت بن السكن من سلامان(١) وكان شيخاً هماً في اللسان ، وبدراً تماً في البيان ، قد بقي أحقاباً ، والقى أعقاباً ، ثم ألقته الينا من باديته الأزمات ، وأوردته علينا العزمات ، فامتحنا من علمه بحراً جارياً، وقدحنا من فهمه زنداً وارياً وأدرنا من بره طَرَفاً، واجتنينا من ثمره طُرَفاً ، ونحن اذ ذاك والشباب مقتبل ، وغفلة الزمان تهتبل ، واحتذيت فيما ذهبت اليه، ووقع تعريضي عليه ، من بث هذه الاحاديث، مارأيت الأوائل قد وضعته في كتاب كليلة ودمنة ، فاضافوا حكمه الى الطير الحوائم ، ونطقوا به على ألسنة الوحش والبهائم ، لتتملق به شهوات الاحداث ، وتستعذب بثمره ألفاظ الحداث ، وقد نحا هذا النحو سهل بن هارون الكاتب ، في تأليفه كتاب النمر والثعلب ، وهو مشهور الحكايات ، بديع المراسلات ، مليح المكاتبات ، وزوّرَ أيضا بديع الزمان ، الحافظ الهمذاني ، وهو الاستاذ أبو الفضل احمد بن الحسين ، مقامات كان ينشئها نديها في أواخر مجالسه،

---

(١) سلامان بفتح أوله ماء لبني شيبان على طريق مكة الى العراق

وينسبها الى راوية رواها له ، يسميه عيسى ابن هشام ، وزعم انه حدَّثه بها عن بليغ يسميه أبا الفتح الاسكندرى ، وعددها فيما يزعم رواتها عشرون مقامة [١] ، الا أنها لم تصل هذه المدة الينا ، وهى متضمنة معانى مختلفة ، ومبنية على معانى شتى غير مؤتلفة ، لينتفع بها من الكتاب والحاضرين من صرفها من هزلٍ الى جد ، ومن ندٍّ الى ضد ، فأقمت من هذا النحو عشرين حديثاً ، أرجو أن يتبين فضلها ، ولا تقصرُ عما قبلها ، ولعمرى ما أشكر من نفسى ، ولا أنى على شىء من حسّى ، الا ظفرى بالأقل مما حاولته على ما أضرمته نيران الغربة من قلبى ، وثلمته صعقات الفتنة من لُبّى ، وقطعت أهوال البر والبحر من خواطرى ، وأضعفت الوحشة والوحدة من غرائزى وبصائرى . لكن نية القاصد وسمة المقصود ، أعانا ذا الود على اتحاف المودود ، والله أسأل توفيقا ، ينهج لنا الى الرُشد طريقاً)

قال فى جملة أحاديث : وجاريت أبا الريان فى الشعر والشعراء ومنازلهم فى جاهليتهم واسلامهم ، واستكشفته عن مذهبه فيهم ومذاهب طبقته فى قديمهم وحديثهم ، فقال : الشعراء أكثر من الاحصاء ، وأشعارهم أبعد من شقة الاستقصاء . فقلت لا أعنتك بأكثر من المشهورين ، ولا أذاكر رأيك الا فى المذكورين ، مثل الضليل [٢] والقتيل [٣] ولبيد وعبيد

---

(١) المتداول الآن بين الناس من هذه المقامات خمسون مقامة طبعت عدة طبعات فى مصر وغيرها وفى كتاب زهر الآداب للحصرى أنها تبلغ أربعمائة

(٢) الضليل هو امرؤ القيس بن حجر الكندى حامل لواء شعراء الجاهلية .

(٣) القتيل هو : طرفة ابن العبد الشاعر المشهور .

والنوابغ والمشو والاسود بن يعفر ، وصخر الغي وابن الصمة دريد ، والراعي عبيد، وزيد الخيل ، وعامر بن الطفيل ، والفرزدق وجرير وجميل ابن معمر، وكثير، وابن جندل ، وابن مقبل، وجرول، والأخطل، وحسان في هجائه ومدحه ، وغيلان في ميته وصيدحه، والهذلي ابو ذؤيب، وسحيم ونصيب، وابن حلزة الوائلي وابن الرقاع العاملي، وعنترة العبسي، وزهير المزني، وشعراء فزارة، ومفلق بني زرارة، وشعراء تغلب وشعراء يثرب ، وأمثال هذا النمط الاوسط: كالرماح، والطرماح، والطثري، والدميني، والكميت الأسدي، (وحميد الهلالي، وبشار العقيلي، وابن أبي حفصة الاموي، ووائلة الأسدي،) وابن جبلة الحامي، وأبي نواس الحكمي، وصريع الانصاري، ودعبل الخزاعي، وابن الجهم القرشي، وحبيب الطائي، والوليد بن عبيد البحتري وابن المعتز العباسي ، وعلي بن العباس الرومي، وابن رغبان الحمصي الملقب بديك الجن

ومن الطبقة المتأخرة في الزمان، المتقدمة في الاحسان[١] كأبن حمدان والمتنبي احمد بن الحسين بن عبدان، وابن جدار المصري ، وابن الاحنف الحنفي، وكشاجم الفارسي ، والصنوبري الحلبي ، ونصر الخبزأرزي، وابن عبدربه القرطبي، وابن هانئ الاندلسي ، وعلي ابن العباس الابادي التونسي، واحمد ابن دراج القسطلي .

قال أبو الريان : لقد سميتَ مشاهير وأبقيتَ الكثير . قلت: بلى ولكن ماعندك فيمن سميت لك؟ قال (أما) الضليل مؤسس الأساس وبنيانه

(١) في التونسية (كأبي فراس بن حمدان)

عليه الناس . كانوا يقولون أسيلة الخد، حتى قال امرؤ القيس أسيلة مجرى الدمع. وكانوا يقولون تامة القامة وطويلة القامة وأشباه هذا: وجيداء وتامة العنق، حتى قال امرؤ القيس بعيدة مهوى القرط . وكانوا يقولون فى الفرس السابق يلحق الغزال ويسبق الظلام[١] وأمثال هذا حتى قال :

بمنجرد قيد الاوابد هيكل

ومثل هذا (له) كثير ، ولم يكن قبله من فطن لهذا وبنى من بعده على هذه الاشارات والاستعارات ، فحسنت به أشعارهم جدا ، وسلكوا منهاجها قصداً ، فتطرزت أقوالهم ، وكانت الاشعار قبلها سواذج . فبقيت (هذه) جددا وتلك نواهج ، وكل شعر بعدها خلا منها فغير رائق النسج ، وان كان مستقيم النهج . ولامرئ القيس استعارات فى أشعاره رائقة وتشبيهات صحيحة لائقة ، تركنا ذكرها لشهرتها وائلا يطول الكتاب بها .

قال : وأما طرفة فلو طال عمره اطال شعره ، وعظم فى الشعر ذكره ، ولقد خص بأوفر نصيب من الشعر على أنزر نصيب من العمر ، فملأ أرجاء ذلك النصيب بصنوف من الحكمة ، وأوصاف من علو الهمة . والطبع معلم حاذق ، والذكاء جواد سابق . وأما الشيخ أبو عقيل فشعره ينطق بلسان الجزالة عن جنان الاصالة فلا تسمع له الا كلاما فصيحا ومعنى متينا صحيحا[٢] وان كان شيخ الوقار والشرف والفخار (لبادئات) فى شعره وهى دلائله

---

(١) فى التونسية (والظليم)

(٢) فى التونسية (مبيناً صريحاً)

قبل أن يُعلم (مَن) قائله . وأما العبسى فمجيد فى أشعاره ولا كمعلقته ، فقد انفرد بها انفراد سهيل وعَبّر فى وجوه الخيل ، وجمع فيها بين الحلاوة والجزالة ورقة الغزل وغلظة البسالة ، و (أطال) واستطال وأمن السآمة والكلال . وأما زهير فأى زهر بين لهوات زهير ؛ حكم فارس ومقامات الفوارس ، ومواعظ الزهاد ، ومعتبرات العُبّاد ، وأملات التجارب ، ومدح يكسب الفخار ، ويبقى بقاء الاعصار ، ومعاتبات مرةً تحسن ومرةً تخشن ، وتارة تكون هجواً ، وطوراً تكاد تعود شكوى . وأما ابن حِلِزة اليشكري فسهل الحزون ، قام خطيبا بالموزون ، والعادة أن يسهل شرح الشعر بالنثر ، وهذا أسهل السهل بالوعر وذلك مثل قوله :

أبرموا أمرَهم بليل[1] فلما ‏ ‏ أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

من منادٍ ومن مجيبٍ ومن ‏ ‏ تصهال خيل خلال ذاك رغاء[2]

فلو اجتمع كل خطيب سائر من أول وآخر ، يصفون سفراً نهضوا بالاسحار ، وعسكرا تنادى بالنهوض الى طلب الثار ، لما زادوا على هذا ان لم ينقصوا منه ويقصروا عنه . وسائر قصيدته على هذا السلك . شكاية وطلاب نصفة ، وعتاب فى عزة (وأنفة)وهومن شعراء وائل وأحد ألسنة هاتيك القبائل . وأما ابن كلثوم فصاحب واحدة بلا زائدة[3] أنطقه بها عز الظفر وهزه فيها جن الأشر ، فقعقعت رعوده فى أرجائها وجعجعت

(١) فى التونسية (عشاء)

(٢) البيتان من معلقته التى مطلعها آذنتنا ببينها أسماء

(٣) (يعنى قصيدته المعلقة)

رحاه فى اثنائها ، وجعلتها تغلب قبلتها التى تصلى اليها ، وملتها التى تعتمد عليها ، فلم يتركوا اعادتها ، ولا تخلفوا عن عبادتها ، الا بعد قول القائل :

الهى بنى تغلب عن كل مكرمة . قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

على انها من القصائد المحققات ، واحدى المعلقات . وأما النابغة زياد فأشعاره المحققات الجياد لم تخرج عن نار جوانحه حتى تناهى نضجها ، ولا قطعت من منوال خاطره حتى تكاثف نسجها. لم تهلهلها ميمة الشباب ولا وهاء الاسباب، ولا لوم الا كتساب ، فشعره وسائط سلوك، وتيجان ملوك . وأما ابو ليلى الجعدى[1] فنق الكلام شاعر الجاهلية والاسلام، استحسن شعره أفصح الناطقين ، ودعا له أصدق الصادقين ، وكان شاعرا فى الافتخار والثناء ، قصير الباع لشرفه عن (تناول) الهجاء فكان مغلوبا به فى الجاهلية ، وطريد ليلى الاخيلية . وأما المثنى فكلهم شاعر ولا كميمون بن قيس ، شاعر المدح والهجاء واليأس والرجاء ، والتصرف فى الفنون ، والسعى فى السهول والحزون، نفّق مدحه بنات المحلق وكان فى فقر ابن المذاق ، وأبكى هجوه علقمة كما تبكى الامة ، وكان صلود الدمع غزير الجم . وأما الاسود ابن يعفر فأشعر الناس اذا ندب دولة زالت أو بكى حالة حالت، أو وصف ربعا خلا بعد عمران ، أو داراً درست بعد سكان ، فاذا سلك سوى هذا السبيل فهو من حشو هذا القبيل ، كعمرو وزيد وسعد وسعيد . وأما حسان فقد اجتثت بوا كره غسان ثم جاء الاسلام وانكشف الاظلام فحامى عن الدين وناضل عن خاتم النبيين، فشعر وزاد وحسّن وأجاد، إلا ان

---

(١) فى التونسية (النابغة الجعدى)

الفضل فى ذلك لتأييد رب العالمين وتسديد الروح الامين . وأما دريد بن الصمة فصمة صمم وشاعر جشم ، وغزلى هرم، وأول من تغزل فى رثاء، وهزل فى حزن وبكاء . فقال فى معبد أخيه : (قصيدته المشهورة يرثيه)

أرث جديد الحبل من أم معبد بعافية قد أخذت كل موعد

وهى من أشرف قصائد الرثاء وشاجيات النوائح وباقيات المدائح .

وأما الراعى عبيد فقد جبل على وصفه فى الابل،وشغله هواها عن الشعر فى سواها ، سوى التعليل بالنزر القليل ، فصار براعى الابل يعرف ، ونسى ماله من الشرف .وأما زيد الخيل،فخطيب سجاعة وفارس شجاعة،مشغول بذلك عما سواه من المسالك . وأما عامر بن الطفيل ، فشاعرهم فى الفخار وفى حماية الجار ؛ أوصفهم لكريمة وأنعتهم لجيد شيمة . وأما ابن مقبل فقديم شعره ، وصليب نجره ومغلى مدحه ومعلّى قدحه . وأما الحطيئة جرول، فخبيثٌ هجاؤه ، شريف ثناؤه (صحيح بناؤه) رفع شعرهُ من الثرى وحطّ من الثريا ، وأعاد بلطافة فكره ومتانة شعره ، قبيح الالقاب فخرا يبقى على الاحقاب ، ويتوارثُ فى الاعقاب[1]

وأما أبو ذؤيب فشديدُ أسر الشعر، حكيمهُ ، شغلَه فيه التجريب حديثهُ وقديمهُ ، وله المرثية النقية السبك ، المتينة الحبك ، بكى فيها بنيه السبعةَ فقال ، ووصف الحمام فأطال وهى التى أولها :

---

(١) يعنى قوله فى بنى أنف الناقة قوم همُ الأنف والأذناب غيرهمُ البيت فصاروا يظهرون هذا اللقب ويفتخرون به ، وكانوا من قبل يغضون منه ويكرهونه ويعنى بقوله حط من الثريا هجاء الزبرقان ابن بدر بقوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعمُ الكاسى

أمِنَ المنُونِ وريبها تتوجّعُ والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يجزع

وأما النصراني الاخطل، فسعد من سعود بني مروان صفت لهم مرآة فكره، وظفروا بالبديع من شعره، وكان باقعة من حاجاه، وصاعقة من هاجاه، وأما الدارمي همّام[1] فجوهر كلامه، وأغراض سهامه، اذا افتخر بملك ابن حنظله، و بدارم في شرف المنزله، وأطول مايكون مدى اذا تطاول اختيال جرير عليه، بقليله على كثيره، و بصغيره على كبيره، فانه يصادمه حينئذ ببحر مادّ، ويقاومه بسيف حادّ، وأما ابن الخطفى[2] فزهري غزل و حجري جدل[3] يَسْبَح أولا في ماء عذب. ويطمح آخرا في صخر صلب. كلب منابحة، وكبش مناطحة، لايفل غرب لسانه مطاولة الكفاح، ولا تدمى هامته مداومة النطاح، جاري السوابق بعطية، وفاخر غاليا بمطية، و بلغته بلاغته الى المساواة، وحملته جرأته على المجاراة، والناس فيهما فريقان، وبينهما عند قوم فرقان

قال أبو الريان: حدّثنا الصولي قال حدثنا الغوث بن البحتري الشاعر: سألني أبي يوماً من أفضل عندك جرير أم الفرزدق؟ قال فقلت في في نفسي: سلك جرير بسلك أبي أشبَه، فقلت له أفضل جريرا فقال ما صنع ميز لك شيئا قلت ولم؟ أليس جريرا أشبه بطريقتك؟ قال أو في المنزحية، أو في الحقّ عصبية، قلت فيمَ تفضّل الفرزدق؟ قال: لاني رأيت جريرا لا يهجو بأكثر من خمسة أشياء يكرّرها منها القيون وحر أخته والزنا ونفي عمر بن عبد العزيز له من المسجد وضربه الروي: ورأيت الفرزدق

---

(١) الدارمي همام هو الفرزدق الشاعر المشهور

(٢) هو جرير بن عطية الشاعر المشهور

(٣) وفي التونسية فزهد في عزل وحجر في جدل

لا يخلو فى كل قصيدة له من أن يرميه بسهام شتى غيرَ مُكَرَّرَةٍ ولا مُعَادَةٍ وفى هذا من الفضل مالا يخفى

قال أبو الريان: قلت للصولى ولو حضرت هذا المجلس لوقفت له البحترى على ما جهله، ونبهته على ما أغفله، وذلك أن كُلَيب بن يربوع وهى قبيلة جرير لا توازى فى الشرف دارماً وهى قبيلة الفرزدق، ولا عطية لغالب فناضله جرير مُناضَلَةَ المساواة ثلاثين عاما، واذا تناصف فى المكافحة قرنان، سيف أحدهما حسام، وسيف الآخر كهام[1] فصاحب الكهام أصدقُ مصاعا، وأطول باعا، قال. وانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب، وقد حكى أبو عمرو بن العلاء، قال: كنت عند جرير أقرأ عليه من شعره حتى قام على رجليه وتلقى رجلا بكلتا يديه، ونظرت الى الرجل فرأيت أسود دميما كأنه جمل يسوق أعناقا فعجبت من انحطاط جرير لمثله فقلت يا أبا حرزة من هذا الذى أجللته هذا الاجلال فتبسم وقال هذا عطية بن عوف الخطفى وان أمرءاً ناضل لهذا بنى دارم كذا وكذا سنةً فما نضلوه لشاعر، قال: فلما عرفت انه والده استحييت[2]. وأما القيسان[3] وجميل وغيلان والطثرى والدمينى وحميد الهلالى وسحيم الربحى فطبقةٌ عشقةٌ توقةٌ، قد استحوذت الصبابة على أفكارهم، واستغرقت دواعى الحب معانى أشعارهم، فكلهم مشغولٌ

---

(١) الكهام سيف فل شباته فامتنع من القطع لهامة

(٢) من أول كلمة قال ابو الريان فى الصفحة السابقة الى هنا سقط من التونسية

(٣) القيسان اولهما القيس بن الملوح: مزاحم بن قيس العامرى المشهور بمجنون ليلى واشعاره فيها متداولة، وثانيهما هو قيس بن ذريح الكنانى رضيع الحسن بن على ابن أبى طالب

بهواه، لا يتعداه الى سواه. واما كثير فحسن النسيب فصيحه، لطيف العتاب مليحه، شجي ذكر الاغتراب قريحه، جامع الى ذلك رقايق الظرفاء، وجزالة مدح الخلفاء. وأما الرماح والكميت والطرماح ونصيب فشعراء معاصرة ومناقضة ومفاخرة. فاما نصيب فأمدح القوم، والطرماح أهجاهم، فالرماح أنسبهم نسيبا. والكميت أشبههم تشبيباً. وأما بشار فأول المولدين، وآخر المخضرمين وممن لحق الدولتين، عاشق سمع، وشاعر جمع: وشعره ينفق عند ربات الحجال وعند فحول الرجال، فهو يلين حتى يستعطف ويقوى حتى يستكشف، وقد طال عمره، وكثر شعره، وطما بحره، وبقي في البلاد ذكره. واما ابن أبي حفصة فمن شعراء الدولتين، وممن حظي بالنعمتين، ووصل الى الغنى بالصلتين، وكان حرب المعول، ذرب المقول، والد شعراء، ومنسل[1] فصحاء كبراء، وأما أبو نواس، فأول الناس في خرم القياس، وذلك انه ترك السيرة الاولى، ونكب عن الطريقة المثلى، وجعل الجد هزلا والصعب سهلا فهلهل المشدد، وبلبل المنضد، وخلخل المنجد، وترك الدعائم، وبنى على الطامي والمائم، وصادف الافهام قد كلت وأسباب العربية قد تخلخلت وانحلت، والفصاحات قد سئمت ومَلّت فمال الناس الى ماعرفوه، وعلقت نفوسهم بما ألفوه، فتهادوا شعره، وأغلوا سعره، وشغفوا بسخفه، وكلفوا بأضعفه، وكان ساعده أقوى، وسراجه أضوى، لكنه عرض الانفق، وأهدى الاوفق، وخالف فشهر وعرف، وأغرب فذكر واستظرف، والعوام تجار هذه الاعلاق، وأسواقهم أوسع الاسواق. فشعر أبي نواس، نافق عند هذه الاجناس، كاسد عند أنقد الناس، وقد

---

(١) وفي التونسية (منجب)

فطن الى استضعافه ، وخاف من استخفافه ، فاستدرك بفصيح طرده ، طرفا جذ اللسان الاول وحدده ، وهو مجدود فى كثرة التظاهرُ ، على من غضّ منه بالحق الظاهر ؛ ليس الا لخفة روح المجُونْ وسهولة الكلام الضعيف الملحون ، على جمهور العوام ، لاعلى خواصّ الانام . وأما صريع فكلامُهُ مُرَصّع ، ونظامه مصنّع ، وغزله مُسْتَعْذب ، مُستغرب ، وجملة شعره صحيحة الاصول ، قليلة الفُضُول . وأما (العباس) ابن الأحنف فتغزل بهواه ، ومنعزل عما سواه . رفع نفسه عن المدح والهجاء ، ووضعها بين يدى هواه من النساء ، قد رقق الشغف كلامُه ، ونفقت قوة الطبع نظامُه ، فله رقة العشاق ، وجَوْدَة الحذاق . وأما دِعبل فدبر مقبل ، اليوم مدح ، وغداً قدح . يجيد فى الطريقتين ، ويسيء فى الخليفتين وله أشعار فى العصبية تحسنها الحمية والطبيعة الغضبية ، وكان شاعر علماء وعالم شعراء ، وأما على بن الجهم ، فرشيق الفهم ، راشق السهم استوصل شعره الشرفاء ، ونادم الخلفاء ، وله فى الغزل الرصافية ، وفى العتاب الدالية ، ولو لم يكن له سواهما ، لكان أشعرَ الناس بهما ، وأما الطائى حبيب فتكلف الا انه يُصيبْ وَيُتْعَبْ لكن له من الراحة نصيب ، وشغله المطابقة والتجنيس ، جيد ذلك أو بيس ، جزل المعانى ، مرصوص المبانى مدحه ورثاؤه ، لا غزله وهجاؤه ، طرفا نقيض ، وخطتا سماء وحضيض . وفى شعره علم جمٌّ من النسب وخصلة وافرة من أيام العرب ، وطارت له أمثال ، وحُفظتْ له أقوال ، وديوانه مقرُوٌّ ، وشعره متلوٌّ ، قال ابن بسام أما صفته لابى تمام فنصفة لم يثن عطفها حمية ولا تعلقت بذيلها عصبية حتى لو سمعها لاتخذها قبلة ، واعتمدها ملة فما لام من أدب وان أوجع ، ولا سب من صدق وان أقذع . وأما

البُحترىّ فلفظه ماء ثجاج، ودرّ رجراج، ومعناه سراج وهاج، على أهدى منهاج، يسبقه شعره، الى ما يجيش به صدره، يُسْر مراد، ولين قياد، ان شربته أرواك، وان قدحته أوراك، طبع لا تكلف يعييه، ولا عناد يثنيه، لا يُمَلّ كثيره ولا يستنكف غزيره لم يَهْفُ أيامَ الحُلم، ولم يُضعف زمن الهرم. واما ابنُ المعتز فمَلِكُ النظام كما هو ملك الانام. له التشبيهات المثلية والاستعارات الشكلية، والاشارات السحرية، والعبارات الجهرية، والتصاريف الصنوفية، والطرائق الفنونية والافتخارات الملكية والهمات العلوية، والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحُسْن الفائق. وخيرُ الشعر أكرمُه رجالا. واما ابن الرومى فشجره الاختراع وثمرة الابتداع، وله فى الهجاء ماليس له فى الاطراء، فتح فيه أبوابا ووصل منه أسبابا، وخلع منه أثوابا، وطوق به رقابا، يبقين أعمارا وأحقابا، يطول عليها حسابه، ويُمحق بها ثوابه، ولقد كان واسع العَطن، لطيف الفطنْ الا ان الغالب عليه ضعف المريرة، وقوة المرة. واما كشاجم فحكيم شاعر، وكاتب ماهر، له فى التشبيهات غرائب، وفى التأليفات عجايب، يجيد الوصف ويحققه، ويسبك المعنى فيرققه، ويُرونقه. واما الصنوبرى ففصيح الكلام غريبه، مليح التشبيه عجيبه، مستعمل شواذ القوافى، يغسل كدورتها بمياه فهمه الصوافى، فتجلو وتدق، وتعذب وترق، وتحلو وهو وحيد جنسه فى صفة الازهار، وانواع الانوار، وكان فى بعض أشعاره يتخالع، وفى بعضها يتشاجع، وقد مدح وهجا، وسر وشجى، وأعجبَ شعرُه وأطربْ وشرق وغرب، ومدح من أهل أفريقية أمير الزاب جعفر بن على

الجذامى [١] منفق سلع الآداب، ووَصلَه بالف دينار، بعثها اليه مع ثقاة التُّجار. وأما الخبزأرزى فخليع الشعر ماجنه، رائق اللفظ باينه، كثيرةٌ مَحاسنه، صحيحةٌ أصوله ومَعَادِنُه، رائقة البِزّة، مائلة الى العزّة، يسليه عن الحب الخيانة، ويروقه الوفاء والصيانة، وله على خُشُونة خَلقه وَصعُوبة خُلقه اختراعات لطيفة، وابتداعات ظريفة، فى الفاظ كثيفة، وفصول قليلة الفضول نظيفة، حتى ان بعض كبراء الشعراء اهتدم شيئاً من مبانيه، واهتضم طرفا من معانيه، وهو من مُعَاصِريه، فقل من فطن لمراميه. وأما أبو فراس بن حَمْدان ففارس هذا الميدان ان شئت ضرباً وطعناً، أو شئت لفظاً ومعنى، ملك زمانا وملك أمانا، وكان أشعر الناس فى المملكة، وأشعرهم فى ذل الملكة؛ وله الفخريات التى لا تعارض، والاسريات التى لا تناهض. وأما أبو الطيب المتنبي فقد شغلت به الألسن، وسهرت فى أشعاره الاعين، وكثر الناسخ لشعره والآخذ لذكره، والغائص فى بحره، والمفتش عن جمانه ودرّه، وقد طال فيه الخلف، وكثر عنه الكشف. وله شيعة تغلو فى مدحه، وعليه خوارج تتغايا فى جرحه. والذى أقول أن له حسنات وسيئات، وحسناته اكثر عدداً وأقوى مددا، وغرائبه طائرة، وأمثاله سائرة، وعمله فسيح ومِيْزه صحيح، يروم فيقدر، ويدرى مايوردُ ويُصدر.

---

(١) هو ابو على جعفر بن على بن احمد بن حمدان أمير الزاب من اعمال أفريقيه ومؤسس مدينه المسيلة بالمغرب وقد حاربه الأمير بلكين الصنهاجى صاحب القيروان واستظهر عليه ففر جعفر الى الاندلس وبها قتل سنه ٣٦٤ هجريه

قال ابو الريان : هذا ما عندى فى شعراء المشرق وقد سميت لى من متأخرى شعراء المغرب من لعمرى لا يبعد عن معاصره ولا يقصر عن سابقه . وأما ابن عبد ربه الاندلسى وإن بعدت عنا دياره فقد صافتنا أشعاره ، ووقفنا على أشعار صبوته الأنيقة ، وتكفيرات توبته الصدوقة ، ومدائحه المروانية ، ومطاعنه فى العباسية ، فوجدناه فى كل ذلك فارسا ممارسا ، وطاعنا مداعسا ، واطلعنا فى أشعاره على مادة علم واسع ، ومادة فهم مضيء ناصع ، ومن تلك الجواهر نظم عقده[١] وتركه لمن يتجمّل به بعده . وأما ابن هانيء الاندلسى ولادة القيروان وفادةً وإفادة، فرعدىّ الكلام، سردىّ النظام متين المبانى، غير مكين المعانى يجفو بعضها عن الاوهام، حتى تكون كنقطة النظام ، الا انه اذا ظهرت معانيه فى جزالة مبانيه رمى عن منجنيق يؤثر فى النيق، وله غزل قفرى لا عذرىّ ، لا يقنع فيه بالطيف، ولا يشفع فيه لغير السيف : وقد نوّه به ملك الزاب وعظم شأنه بأجزل الثواب ، وكان سيف دولته فى اعلاء منزلته، من رجل يستعين على صلاح دنياه بفساد أخراه، لرداءة عقله ورقة دينه وضعف يقينه ، ولو عقل لم تضق عليه معانى الشعر حتى يستعين عليها بالكفر . وأما ابن درّاج الاندلسى القسطلى فشاعر ماهر ، عالم بما يقول ، تشهد له العقول، بأنه المؤخر فى العصر ، المقدم فى الشعر ، من تصفح أشعاره دلته على أنه عالم بالاخبار والانساب ، والآثار والاحساب ، حاذق يضع الكلام فى مواضعه لا سيما اذا ذكر ما أصابه فى الفتنة ، وشكا ما دهاه فى أيام المحنة ، وبالجملة فهو أشعر أهل مغربه فى أبعد الزمان وأقربه . وأما أبو على التونسى فشعره المورد

العذب ، ولفظه اللؤلؤ الرطب ، وهو بحترى المغرب،يصف الحمام فيروق الانام ويُشبب فيُعشق ويُحبب ، ويمدح فيَمنح أكثر مما يُمتح . وقد وصفْتُ المتأخرين فعرفت وأنصفت، على احتقار المعاصر واستصغارا لمجاور ، فحاش لله من الاوصاف لقلة الانصاف للبعيد والقريب ، والعدو والحبيب .

قلت يا أبا الريان أكثر الله مثلك فى الاخوان ووقاك محذور الزمان ومرور الحدثان فلقد سُبكتَ فهما وحُشيتَ علما . قال محمد: قلت لأبى الريان فى مجلس عقبَ هذا المجلس يا أبا الريان : لقد رأيتُ لك نقداً مصيباً ، ومَرْمَى عجيبا ، ولقد أرغب فى ان أنالَ منه نصيباً ، فقال النقد هبة فى الموالد، وفيه زيادة طارفٍ الى تالد، ولقد رأيت علماء بالشعر (ورواة له) ليس لهم نفادٌ فى نقده، ولا جَوْدَة فهم فى رديه وجيده، وكثير ممن لا علم له يفطَنُ الى غوامضه والى مستقيمه ومتناقضه . قلتُ : أنا شديدُ الرغبةِ الى فضلك ، فى ان تسهمنى من تَميزك وعقلك ، ما استهدى بسراجه على مستقيم منهاجه ، فأقف من سرائره على بعض ما وقفتَ ، وأعرف من مفاخره ومعانيه جزءاً مما عرفت . قال نعم أول ما عليه تعتمد ، واياه تعتقد ، ألا تستعجل باستحسان ، ولا باستقباح ، ولا باستبراد ، ولا باستملاح ، حتى تنعم النظر ، وتستخدم الفكر ، واعلم أن العجلة فى كل شىء مركبٌ زَلوق ، وموطىء زَهُوق ، وان من الشعر ما يملأ لفظه المسامع ، ويرد على السامع منه قماقع ، فلا تروعك شماخة مَبْناه ؛ وانظر الى ما فى سكناه من معناه ، فان كان فى البيت ساكن فتلك المحاسن ، وان كان خاليا فاعدُده جسما باليا ، وكذلك اذا سمعت الفاظا مستعملة ، وكلمات مُبتذلة ، فلا تعجل باستضعافها ، حتى ترى ما فى أضعافها فكم من معنى عجيب ، فى لفظ غير غريب ، والمعانى هى الارواح ، والالفاظ

هي الاشباح ، فان حسنا فذلك الحظ الممدوح ، وان قبح أحدهما فلا يكن الروح ، قال : وتحفظ من شيئين أحدهما ان يحملك اجلالك القديم المذكور ، على العجلة باستحسان ماتسمع له ، والثاني ان يحملك إصغارك المعاصر المشهور ، على التهاون بما أنشدت له ، فان ذلك جور في الاحكام ، وظلم من الحكام ، حتى تمحص قوانيهما ، فحينئذ تحكم لهما أو عليهما فهذا باب في اعتلاقه استصعاب ، وفي صرف العامة وبعض الخاصة عنه اتعاب ، وقد وصف تعالى في كتابه الصادق تشبث القلوب بسيرة القديم ونفارها عن المحدث الجديد . فقال حاكيا لقولهم : انا وجدنا آباءنا على أمة ، وقال تعالى لن نعبد الا ماوجدنا عليه آباءنا ، قال وقد قلت أنت

أغرى الناس بامتداح القديم   وبذم الجديد غير ذميم
ليس الا لأنهم حسدوا الحي   ورقوا على العظام الرميم

وقلت في هذا المعنى

قل لمن لا يرى المعاصر شيئا   ويرى للأوائل التقديما
ان ذاك القديم كان جديدا   وسيغدو هذا الجديد قديما

فلا يرعك ان تجرى على منهاج الحق في جميع الخلق ، فبه قامت السموات والارض ، وبه أحكم الابرام والنقض ، وسأمثل لك في هذا مثالا وأملأ أسماعك مقالا وفهمك عدلا واعتدالا هذا امرؤ القيس أقدم الشعراء عصرا ، ومقدمهم شعرا وذكرا ، وقد اتسعت الاقوال في فضله ، اتساعا لم يفز غيره بمثله ، حتى ان العامة تظن بل توقن ان جواد شعره لايكبو ، وان حسام نظمه لاينبو ، وهيهات من البشر الكمال ، ومن الآدميين الاستواء والاعتدال ، يقول في قصيدته المقدمة ، ومعلقته المفخمة

ويوم دخلت الخدر خِدْرَ عنَيزةٍ   فقالت لك الويلات انك مرجلي

فما كان أغناه عن الاقرار بهذا، وما أشدّ غفلته عما أدركه من الوصمة به، وذلك ان فيه أعداداً كثيرة من النقص والبخس، منها دخوله متطفلا على من كره دخوله عليه، ومنها قول عنيزة له: لك الوَيْلاتُ ومن قولة لاتقال الا للخسيس ولا يقابلْ بها رئيس، فان احتج محتجٌ بأنها كانت أرأسَ منه، قيل له: لم يكن ذلك لأن الرئيسة لا تركب بعيرا بدرج، أو يموت اذا ازداد عليه ركوبُ راكب ساعة، بل هذا بعير فقير ة حقيرة. وان احتج له بأنه صبر على الهوان من أجل انها معشوقة. قيل له كيف يكون عاشقا من يقول لها:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا   فألهيتها عن ذى تمائم محول

وانما المعروف للعاشق الانفراد بمعشوقه، واطراح سواه، كالقيسين في ليلى ولبنَى وغيلاَن بميّة وجميل ببُثَيْنة وسواهم كثير. فلم يكن لها عاشقا، بل كان فاسقا، ثم أهجن هجنة عليه، وأسخن سخنه لعينيه، اقراره باتيان الحبْلى والمرضع. فاما الحبلى فقد جبل الله النفوس على الزهد فى اتيانها، والاعراض عن شأنها، لوجوه منها: ان الحبل علة أشبه العلل بالاستسقاء، ومع الحبل كمود اللون وسوء الغذاء وفساد النكهة وسوء الخلق وغير ذلك، ولا يميل الى هذا، الا من له نفس سوقى، دعْ نفس ملوكى، وأعجب من هذا ان البهائم كلها لا تنظر الى ذوات الحمل من أجناسها ولا تقرب منها حتى تضع أحمالها وتفارق فصلانها. ثم لم يكفه أن ذكر الحبلى حتى افتخر بالمرضع وفيها من التلويث باوضار رضيعها، ومن اهتزالها، واشتغالها عن أحكام اغتسالها، وقد أخبر أن ذا التمائم المحول متعلق به بقوله:

فألهيتها عن ذى تمائم محول

واخبر انها ظئر ولدها ، لا ظئر له ، ولا مرضع سواها فدل بذلك على انها حقيرة فقيرة ، ومثل هذه لا يصبو اليها من له همة ، وهذه الصفات كلها تستقذرها نفس الصعلوك والمملوك ، فكيف أنفس الملوك . وقد قال أيضا فى موضع آخر من هذا الباب :

سموت اليها بعد ما نام أهلها سُمُوَّ حباب الماء حالا على حال
فقالت لحاك الله انك فاضحى الست ترى السمار والناس أحوالى
(حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان حدث ولا صال)

فأخبرها هنا انه هين القدر عند النساء ، وعند نفسه ، برضاه قولها لحاك الله فحصل على: لك الويلات من تلك، وعلى لحاك الله من هذه، فشهد على نفسه انه مكروه ، مطرود، غير مرغوب فى مواصلته، ولا محروص على معاشرته ، ولا مرضى بمشاكلته ثم أخبر عن نفسه انه يرضى بالحنث والفجور وهذه أخلاق لا خلاق لها. ثم أقر فى مكان آخر من شعره بما يكتمه الاحرار ، ولا ينم بقبحه الا الأوضاع الاشرار فقال

ولما دنوت تسديتها فثوب لبست وثوب أجُرّ

وأى فجر فى الاقرار بالفضيحة على نفسه وعلى حبه ، وأين هذا من قول يعقوب الخزيمى

ولا أسأل الولدان عن وجه جارتى بعيدا ولا أرعاه وهو قريب

وانما سهل عليه كل هذا حرصه على ما كان ممنوعا منه . وذلك انه كان مبغضا للنساء جداً ، مفروكا ممن ملك عصمتها ، لاسباب كثيرة ذكرت ، وكل من حرص على نيل شيء فمنع منه فعلا ، ادعاه قولا . وله أشباه فيما أتاه ، يدعون ما ادعاه، إفكا وزوراً، وكذبا وفجوراً، ومنهم الفرزدق وهو القائل :

هما دلياني من ثمانين قامة كما انقض باز اقتم الريش كاسره

فهذا أول كذبه ولو قال من ثلاثين قامة لكان كاذبا لتقاصر الارشية عن ذلك . وقد قرعه جرير بهذا فقال :

تدليتَ تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلى والمكارم

وكان مغرما بالزناء مدعيا فيه ، وقد بُلى بموانع تصرفه عنه ، منها ماشُهر به من النميمة بمن ساعده ، والادعاء على من باعده . ومنها دمامته ، ومنها اشتهاره ، والمشهور يصل الى شهوة يتبعها ريبة ، فكان يكثر فى شعره من ادعاء الزنا واستدعاء النساء وهن أغاظ عليه من كبد بعير وأبغض فيه وأهجى له من جرير . وحذا طرق هؤلاء الاجناس ، سحيم عبد بنى الحسحاس ، أسود فى شملة دنسة قملة ، لا يوا كله الغربان ولا يصاليه الصرّد العريان . وهو مع ذلك يقول :

وأقبلن من أقصى العراق يعدننى نواهد لا يعرفن خلقا سوائيا

يعدْن مريضاً هن هيّجنَ مابه ألا انما بعض العوائد دائيا

توسّدنى كفا وتحنو بمعصم علىّ وترمى رجلها من ورائيا

فأنت تسمع هذا الاسود الشنّ ، وادعاءه ، وتعلم أن الله لو أخلى الارض فلم يبق رجلا فى الطول والعرض ، لم يكن هذا الزهمة الزلمة ، عند أرذال السودان الا كبعرة بعير فى معرس عير . والممنوع من الشيء حريص عليه مدع فيه ، والمسعد بما يهواه كاتم له مستغن ببلوغ مناه . والدليل على ذلك أن المرقش الاكبر كان من أجمل الرجال وكانت للنساء فيه رغبة وشدة محبة ، وكان كثير الاجتماع بهن والوصول اليهن وله فى ذلك أخبار مروية ولم يكن فى أشعاره صفة شيء من ذلك . فحسبك بذلك صحة على ما قلناه

فان قال قائل: انما وصفت عن امرئ القيس عيوبا فى خلقه، لا فى شعره قلنا: هل أراد بما وصف فى شعره الا الفخر فان قال: لم يرد ذلك وانما أراد اظهار عيبه قلنا فأحمق الناس اذن هو، ولم يكن كذلك. فان قال نعم الفخر له قلنا فقد نطق شعره بقدر ما أراد وترجم عنه قريضه بأقبح الاوصاف. وأي خلل من خلال الشعراء أشد من الانعكاس والتناقض. وكل مايخزى من الشعر فهو من أشد عيوبه. قال: ومن كلام امرئ القيس المخلخل الاركان الضعيف الاستمكان، المتزلزل البنيان قوله:

أمرخ خيامهم أم عشر　　أم القلب فى أثرهم منحدر
وهر تصيد قلوب الرجال　　وأفلت منها ابن عمرو وحجر

فانت تسمع هذا الكلام الذى لا يتناسب، ولا يتواصل، ولا يتقارب ولا يحصل منه معنى ولا فائدة سوى ان السامع يدرى انه يذكر فرقة من أحباب لكن ذلك عن ترجمة معجمة مضطربة منقلبة. سأل عن الخيام أمرخ هى أم عشر وليست الخيام مرخا ولا عشرا. وانما هما عودان فان أراد فى مكان هذين الخيام فقد نقض عمدة الكلام لان مرخه وعشره أتى بهما نكرتين فاشكل بذلك. وانما يجوز لو جعلهما معرفة بالالف واللام والوزن لا يساعده على ذلك. ثم قال أم القلب فى أثرهم منحدر وليس هذا السؤال من السؤال الاول فى شىء الا من بعد بعيد واحتيال شديد

وقال بعد هذا:

وشاقك من الخليط الشطر　　وممن أقام من الحى هر

فأتى بكثير كلام لا يفيد الا قليل معنى وذلك القليل لا غريب ولا عجيب وهو كله ذكر فراق ثم رجع الى أن هرة مقيمة تصيد قلبه وقلب

غيره . فأبطل باقامتها كل ما قال من أخبار الفراق ونقضه وجمل بكاءه المتقدم لغير شيء . ثم قال : وأفات منها ابن عمرو حجر . فحسن عنده أن يخبر أن الناس قد صادت هرٌ جميع قلوبهم الا قلب (حجر) أبيه وهذا من الاحاديث الركيكة والاخبار التي ما بأحد حاجة اليها . ومع هذا فقد أورد أصحاب الاخبار أن (هر) هذه كانت زوجة أبيه حجر . فانظر ما في جملة هذه الابيات من الركاكات ، وقلة الافادات ، فانها لا تفيد قُلامه ، ولا تَهُزُّ ثامه ، ولسنا ننكر هذه العيوب ونزارتها ، ما أقررنا له به من الفضائل وندارتها ، وستجد ناصراً لا يصدق مناصرا ، ولا يفضل على متقدم عصر متأخراء يبني على ضعف اسمه ، ويفديه من الجهل والعيب بنفسه ، فاذا اعترضك من هذا النمط معترض فاعرض عنه ودعه على أخلاقه مستمتعاً بخلاقه ، واتبع المسلك الذي أوضحته لك . قال أبو الريان : وفضلاء الشعراء كثير جداً ، ولكل سقطات ، وسأقفك على بعضها ، لعظيم المؤونة في الاحاطة بها ، ليس الا . لأوضح لك بذكرها منهجا من مناهج النقد لا حرصا على نقص الفصحاء ، ولا قصدا الى تهجين الصرحاء ، وأيَّة رغبةٍ لنا في ذلك وهم جرثومة فروعنا ، وبهم افتخار جميعنا . قال : زهير ، على ما وصفناه به ووصفه غيرنا من العلو والرفعة ، في هذه الصنعة ، من مذهبيته الحكمية ، ومعلقته العامية ، رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطىء يُعمَّر ويهرَم

وقد غلط في وصفها بخبط العشواء على أننا لا نُطالبه بحكم ديننا لانه لم يكن على شرعنا بل نطالبه بحكم العقل ، فنقول انما يصح قوله : لو كان بعض الناس يموت وبعضهم ينجو . وقد علم هو وعلم العالم حتى البهائم ان

سهام المنايا لا تخطىء شيئاً من الحيوان حتى يعمها رشقها فكيف يوصفُ بخبط العشواء وأم لا يقصد غرضاً من الحيوان الا أقصده حتى يستكمل رمياته في شواكل رمياته وانما أدخل الوهمَ على زهير موت قوم عبطة، وموت قوم هرَماً، فظن طول العمر انما سببه اخطاء المنية، وسبب قصره، اصابتها. وهيهات الصواب من ظنه لم يؤخر الهرم الا انها ماقصدته، فحين قصدته أصابته ولو ان الرُّماةَ تهتدي كاهتدائها، لملأت أيديها بأقصى رجائها، وقال زهير أيضاً في مذهبته :

ومن لا يذُدْ عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلِم الناس يُظلم

وقد تجاوز في هذا الحق الباطل، وبنى قولا ينقضه جريانُ العادة، وشهادة المشاهدة، وذلك أن الظلم وعرّةُ مراكبه، مذمومة عواقبه، في جاهليته، واسلامنا، غرض في شعره عليه، وان كان انما أشار الى أن الظالم يُرهب فلا يُظلم، فهذا قياس ينفسد، وأصل ليس يطرد، لأن الظالم يرهبه من هو أضعف منه، وربما انتقم منه بالحيلة والمكيدة، وقد يظلم الظالم من يغلبه فيكون ذلك سبب هلاكه، مع قباحة السمة بالظلم، والمثل انما يضرب بما لا ينخرم وقد كانت له مندوحة واتساع في ان يقول: يهدم ومن لا يدفع الظلم يظلم، قال أبو الريان :

وقال زهير أيضاً وهو من أطيب شعره وأملحه عند العامة وكثير من الخاصة، فها هنا تحفظ وتأمل ولا يهلك ذلك فالحقّ أبلج

تراه اذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذى أنت سائله

مدح بها شريفاً أى شريف، فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع

شيئاً من عرض الدنيا اليه وليس من صفات النفوس العارفة السامية ، ولا الهمم الشريفة العالية ، اظهار السرور الى ان تتهلل وجوههم ، وتسر نفوسهم، بهبة الواهب، ولا شدة الابتهاج بعطية المعطى . بل ذلك عندهم سقوط همة، وصغر نفس . وكثير من ذوى النفوس النفيسة ، والاخلاق الرئيسة ، لايظهر السرور متى رزق مالا عفواً ، بلا منة مثيل ولا يد معطٍ مستطيل، لأنه عند نفسه أكبر منه ولأن قدر المال يقصر عنه ، فكيف أن يمدح ملك كبير القدر عظيم الفخر ، بأنه يتهلل وجهه ويمتلىء سرورا قلبه اذا أعطى سائله مالا ؟ هذا نقص الثناء ومحض الهجاء . والفضلاء يفخرون بضد هذا .

قال بعضهم :

ولست بفراح اذا الدهر سرنى ولا جزع من صرفه المتقلب

وانما غر زهيرا وغر المستحسن بيته هذا ، ما جبلوا عليه من حب العطاء وما جرت به عادتهم من الرغبة فى الهبات والاستجداء ، وليس كل الهمم تستحسن ذلك ، ولا كل الطباع تسلك هذه المسالك . قال : وقال زهير أيضا يمدح سادة من الناس قذفهم بانواع الذم، واكثر الناس على استحسان ما قال ، بل أظن كلهم على ذلك ، وهو قوله :

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المُقلّين السماحة والبذل

فأول ماذمهم به إخباره أن فيهم مكثرين ومقلين . فلو كان مكثروهم كرماء لبذلوا لمقليهم الاموال ، حتى يستووا فى الحال ويشتبهوا فى الكرم والحال الذين قال فيهم حسان :

الملحقين فقيرهم بغنيهم والمشفقين على اليتيم المرمل

وكما قال غيره .

الخالطين فقيرهم بغنيهم   حتى يعود فقيرهم كالكاف

وكما قالت الخرنق[1] :

الخالطين لجينهم بنضارهم   وذوى الغنى منهم بذى الفقر

فهذا كله — وأبيك — غاية المدح النقى من القدح . ثم اسمع ما فى هذا البيت سوى هذا من الخلل والزلل ، قال :

على مكثريهم حق من يعتريهم   وعند المقلين السماحة والبذل

ففى هذا القسم الاول عيوب على المكثرين ، منها أنهم ضيعوا القريب ورعوا حق الغريب ، وصلة الرحم أولى ما يبدأ به . ومن مكارم العرب حميتها لذوى أنسابها ، وذبها عن أحسابها الأقرب فالأقرب ، وما فضل عن ذلك فللأبعد . ثم اخبر أن المكثرين ليس يسمحون بأكثر من الاستحقاق فى قوله : (عليهم حق من يعتريهم) ومن أعطى الحق فانما أنصف ولم يتفضل بما وراء الانصاف ، والزيادة على الانصاف أمدح . ثم أخبر فى البيت أن المقلين على قصور أيديهم أكرم طباعاً من مكثريهم على قدرتهم فى قوله (وعند المقلين السماحة والبذل) والبذل مع الاقلال مدح عظيم وإيثار ، والسماحة اعطاء غير اللازم ، فمدح بشعره هذا من لا يحظى منه بطائل وذم الذين رجو منهم جزيل النائل ، وهذا غاية الغلط فى الاختيار ، وفى ترتيب الاشعار . ولزهير غير هذا من السقطات لولا كلفة الاستقصاء ، هذا على اشتهاره بأنه أمدح الشعراء وأجزل الوافدين على الاشراف والأمراء ، وسيتمادى المتعصب

---

(١) هى الخرنق بنت بدر بن هفان أخت طرفة بن العبد لأمه وكانت شاعرة جاهلية جليلة توفيت قبل الاسلام بنحو نصف قرن تقريباً

له عن وضوح هذا البيان ، وسينكر جميع هذا البرهان ، ويحمل التفتيش عن غوامض الخطأ والصواب استقصاء وظلما ، ومطالبة وهضما ، ويزعم ان جميع الشعر لو طلب هـذه المطالبة لبطل صحيحه ، وانهجم فصيحه ، والباطل الذى زعم والمحال الذى به تـكلم ، فالسليم سليم ، والـكليم كليم ، وانما سمع المسكين ان أملح الشعر مافات عبارته ، و فُهمت اشارته ، ولحتْ لمحُه ، وملحتْ ملحه ، ورُققت حقايقه ، وحققت رقايقه ، واستغنى فيه باللمحة الداله عن الدلائل المتطاولة وأمثال هذا الـكلام فى استعمال لطائف النظام ، فتوهم ان خلل الشعر وزلله وضعف أركانه وتناقض بنيانه ، وانقلاب لفظه لغوا ، وانعكاس مدحه هجوا ، داخل فيما قدمنا من الاوصاف المستحسنة من لمح اشاراته ، وملح عباراته فعامل هذا الصّنف بعطفك عنه العطف ، وزمك عليه الأنف ، وأعرض عنه بالفكر والذكر كبراء وان لم تكن من أهل الـكبر . وفيما اطلعتك عليه من شعرى هذين الفحلين ، والمتقدمين القديمين ، مايغنى عن التفتيش عن سقطات سواهما ، فقس على مالم تره بما ترى ، واعلم ان كل الصيد فى جوف الفرا ، قال أبو الريان :

ومن عيوب الشعر اللحن الذى لا تسمه فسحة العربية كقول جرير

ولو ولدت لعنزة جرو كلب … لسبّ بذلك الجرو الـكلابا

فنصب الـكلاب بغير ناصب وقد تحيل له بعض النحويين بكلام كالضريع لايسمن ولا يغنى من جوع وكقول الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع … من المال الا مسحتًا أو مجلفُ

فرفع مجلفا وحقه النصبُ وقد تحيل بعض النحويين أيضا للفرزدق على وجه الاقواء أحسن منه فاحذر مثله . واياك وما يعتذر منه بفسيح

من العذر فكيف بضيق ، قال ومما يعاب به الشعر ويستهجنه النقد خشونة حروف الكلمة كقول جرير .

وتقول بوزع قد دببت على العصا　　هلا هزئت بغيرنا يا بوزع

وهذا البيت فى قصيدة من أحلى قصائد جرير ، وأملحها وأجزلها وأفصحها ، فثقلت القصيدة كلها بهذه اللفظة . وللفرزدق لفظات كثيرة ، خشنة الحروف ، تجدها ان استقصيتها وفتشتها على لفظة جرير هذه ولا تكاد ترى أختاً لها فى شعره . قال ويكره النقاد تعقيد الكلام فى الشعر وتقديم آخره وتأخير أوله كقول الفرزدق :

وما مثله فى الناس الا مُمَلَّكٌ　　أبو أمه حى أبوه يقاربه

يمدح به ابراهيم بن هشام المخزومى وهو خال هشام بن عبد الملك .

فمعنى هذا الكلام ، أن ابراهيم بن هشام ما مثله فى الناس حى الا مملك يعنى هشاما أبو أمه أى جد هشام لامه أبو ابراهيم هذا الممدوح . فهو خاله أخو أمه فهو يشبهه فى الناس لا غير . وهذا غاية التعقيد والتنكيد وليس تحته سوى أنه شريف كابن أخته ، ولا تكاد ترى فى شعر جرير شيئاً من هذا . ومن عيوب الشعر كلها الكسر لانه يخرجه عن نعته شعراً وليس مما يقع لمن نعت شاعر ، فأما الاقواء والايطاء والسناد والاكفاء والزحاف وصرف مالا ينصرف فكل ذلك يُستعمل إلا أن السالم من جميع ذلك أفضل وأجمل . ومن عيوبه المذمومة مجاورة الكلمة ما لا يناسبها ولا يقارنها مثل قول الكميت :

حتى تكامل فيها الدلّ والشنبُ

وكما قال بعض المتأخرين فى رثاء :

فانك غُيّبْتَ فى حفرة ... تراكم فيها نعيم وحور

وان كان النعيم والحور من مواهب أهل الجنة فليس بينهما فى النفوس تقارب ، ولا لفظة تراكم مما تجمع بين الحور والنعيم

ومثله قول بعض المتأخرين :

والله لو لا أن يقال تغيرا ... وصبا وان كان التصابى أجدرا
لأعاد تفاح الخدود بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا

فالتفاح ليس من جنس البنفسج ، لان التفاح ثمرة والبنفسج زهرة ، وقد أجاد فى جمعه بين الكافور والعنبر ، لانهما فى قبيل واحد . ولو قال :

لأعاد ورد الوجنتين بنفسجا ... لثما وكافور الترائب عنبرا

لأجاد الوصف وأحسن الرصف ، لكون الورد من قبيل البنفسج . فهذا النوع فافتقدْ وهذا الشرع فاعتمدْ ولفضلاء المُوَلّدين سقطات مختلفات فى أشعارهم ، اذاكرك منها فى أشياء لتستدل بها على أغراضك لا لطلب الزلات ، ولا لاقتفاء العثرات . كان بشار تتباين طبقات شعره فيصعد كثيرها ، ويهبط قليلها كثيراً . وكذلك كان حبيب الطائى فاذا سمعت جيدهما ، كذبت ان رديهما لهما ، واذا صح عندك ان ذلك الردى لهما ، أقسمت ان جيدهما لغيرهما . قال ومما يعاب من الشعر الافتتاحات الثقيلة ، مثل قول حبيب:

هن عوادى يوسف وصواحبه

ومثل قول ديك الجن فى قصيدة

كأنه وكأنها حلل الخلة ... وقف الحلول اذ بغما

فابتدأ هو وحبيب بمضمرات على غير مظهرات قبلها وهو ردىء وتعاب الافتتاحات المتطير بها والكلام المضاد للغرض كابتداء قصيدة ابى نواس التى أنشدها جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى يهنيه ببنيانه الدار الجديدة فدخل عليه عند كمالها وقد جلس للهناء والدعاء وعنده وجوه الناس فابتدأ فأنشده :

أربع البلى ان الخشوع لباد ... عليك وانى لم أخنك ودادى

فنكس جعفر رأسه وتناظر الناس بعضهم الى بعض ثم عادى نخم الشعر بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم ... بنى برمك من رائحين وغاد

فكمل جهله، وتم خطأه. وزاد القلوب، المتوقعة للخطوب سرعة توقع، وأضاف للنفوس المتوجعة بذكر الموت شدة توجع، وأراد ان يمدح فهجاه ودخل أن يسر فشجى قال وقريب من هذا ماوقع للمتنبى فى أول شعر أنشده كافوراً وهو:

كفى بك داءاً ان ترى الموت شافيا ... وحسب المنايا ان يكن أمانيا

فهذا خطاب بالكاف يقبح ولا سيما فى أول لقية، وفى ابتداء استعطاف ورد به. وفى هذا البيت غير هذا من العيوب سنذكره بعد. ووقع مثل هذا من قبح الاستفتاح فى عصرنا وذلك أن بعض الشعراء أنشد بعض الامراء فى يوم المهرجان

لا تقل بشرى ولكن بشريان ... وجه من أهوى ووجه المهرجان

فأمر باخراجه واستطار بافتتاحه وحرمه احسانه . قال: ولو كان هذا الشاعر حاذقا ، لكان اصلاح هذا الفساد أيسر الاشياء عليه ، وذلك بأن يعكس البيت فيقول :

وجه من أهوى ووجه المهرجان　　　أي بشرى هي لا بل بشريان

قال: ويقبح جداً الاتيان بكلمة القافية مهجمة، لانه تبطعا قبلها من الكلام، وانما هي مفردة بحشو القافية كقول بعضهم:

فبلغت المنى برغم أعاديك　　　وأبقاك سالما رب هود

فأنت ترى غثاثة هذه القافية، والله تعالى رب جميع الخلق وكل شىء ، فخص هودا عليه السلام وحده، لضعف نقده وعجزه عن الاتيان بقافية تليق وتحسن . قال: ومما يقبح الجفاء فى النسيب على الحبيب ، والتضجر ببعده وغلظة العتاب على صده ، كقول أبى نواس [1]

أجارة بيتينا أبوك غيور　　　وميسورُ ما يُرجى لديك عسيرُ

فان كنت لا خلا ولا أنت زوجة　　　فلا برحت منّا عليك ستورُ

وجاورت قوماً لا تزاور بينهم　　　ولا قُرْب الا أن يكون نشور

فلم أسمع بأوحش من هذا النسيب ولا بأخشن من هذا التشبيب ، وذلك قوله ان لم تكونى لى زوجة ولا صديقة فلا برحت منا ستور التراب عليك، ولا كان جارك ما عشنا نحن الا الموتى، الذين لا يتزاورون ولا

---

(١) وهذه الابيات من قصيدة مدح بها أبو نواس الخصيب بن عبد الحميد أمير مصر وقد يوجد بعض اختلافات فى روايتها: منها ، فى البيت الثانى خلماً وهو الصديق أو الصاحب بدل خلا . وروحة بدل زوجة

يتواصلون الى يوم النشور ، مع أن كلامه يشهد عليه بأنه شاك . وانما المعروف فى أهل الرقة والظرف ، والمعهود من أهل الوفاء والعطف أن يفـدوا أحبابهم بالنفوس من كل مكروه وبوس . فأين ذهبت ولادته البصرية ، وآدابه البغدادية حتى اختار الغدر على الوفاء ؟ وبلغت به طباعه الى أجفى الجفاء . فاعلم هذا واياك أن تعمل به

ومن عيوب الشعر ، السرق ، وهو كثير الاجناس فى شعر الناس : فمنها ، سرقة ألفاظ ، ومنها سرقة معان . وسرقة المعانى اكثر لانها أخفى من الالفاظ ، ومنها سرقة المعنى كله . ومنها سرقة البعض ، ومنها مسروق باختصار فى اللفظ وزيادة فى المعنى . وهو أحسن السرقات ، ومنها مسروق بزيادة ألفاظ وقصور عن المعنى وهو أقبحها ، ومنها سرقة محضة بلا زيادة ولا نقص والفضل فى ذلك المسروق منه ، ولا شىء للسارق كسرقة الحسن أبى نواس فى هـذه القصيدة الى ذكرنا معنى أبى الشيص بكماله . قال أبو الشيص :

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخر عنـه ولا متقدم

فسرقه الحسن بتمامه فقال :

فما جازه جود ولا حـل دونه ... ولـكن يسير الجود حيث يسير

فهـذا هذا ، على أن بيت أبى الشيص أحـلى وأطبع ومع حلاوته جزالة . وقد ذكر عن الحسن انه قال ما زلت أحسد أبا الشيص على هذا البيت حتى أخذته منه ، وسرقه المعاصر قصور همة . وهـذه القصيدة يناضل أصحاب الحسن عنـه ويخاصمون خصماءه ، مقرين بأن ليس له أفضل منها ، ولا لهم الى سواها معدل عنها . فقس بفهمك وأعمل فكرك

على ما وصفناه من أبواب السرق ما وجدته فى أشعار لم أذكرها، يظهر لك جميع ما وصفناه، ويبدو لك وجه ما رسمناه ان شاء الله

قال : ومما يقع فى عيوب الشعر، ويغفل الشاعر عنه، ويجوز الامر فيه لصِغَرَ جُرْم العيب وسلامة اللفظ الذى احتبى فيه ، ثم يكون ذلك سبب غفلة النقاد أيضاً عنه، مثل قول المتنبي

كفى بك داءاً أن ترى الموت شافيا

فضم هذا الكلام على أنه انما شكى داءه ووصفه بالعظم ، فعادشا كيا نفسه ، وجعلها أعظم الداء لانه أراد : كفى بدائك داء ، فغلط وقال : كفى بك داءا . فصار مثل كفى بالبلاء داء. فالسلامة هى الداء ، يريد طول البقاء سبب للفناء . وقال الله تبارك وتعالى وكفى بنا حاسبين . فالله هو أعظم شهيد . فجعل المتنبي نفسه أعظم الداء ولم يرد الا استعظام دائه وإصلاح هذا الفساد ، وبلوغه الى المراد أن يقول

كفى بالمنايا أن يكن أمانيا وحسبك داء أن تري الموت شافيا

فيعود الداء المستعظم كما أراد ، وتزول خشونة ابتدائه ، وشدة جفائه اذ خاطب الممدوح بالكاف فجعله داء عظيما فى أول كلمة سمعها منه .

وقد تأدب خواص الناس وكثير من عوامهم فى أمثال هذا المكان فهم يقولون عند مخاطبات بعضهم بعضاً بما يخشن ذكره ، قلت للأبعد كذا وكذا ، وكذا وكذا للأبعد ، وقلت ياهو الكذا ، وأشباه هذا

ومن عيوب هذا القسم أيضاً أن قائله قصد الى سلطان جديد والى مكان يحتاج فيه الى التعظيم والتفخيم ، وقد صدر عن ملك نوّه به أعنى سيف الدولة وأغناه بعد فقره وشرّفه ورفعه وأدنى موضعه . فورد على

كافور هذا فى مرتبـة شريفة وخطة منيفة ، فجمل بجهـله يصفه فى أول بيت لقيه به أنه فى حالة لايرى منها المنيـة أويرى المنية أعظم أمنيـة، وعلم كافور بذكائه ، ووصول أخبار الناس اليه ، أنه فى حالةٍ خلاف ما قال ، وانه كفر النعمة من المنعم عليه ، وأراه أن . جميع ماعامله به من الغنى الواسع ، والجاه القاطع ، حقير لديه ، صغير فى عينيه ، فَعَلِم كافور فى هذا الوقت انه ممن لاتزكو لديه الصنيعـة وإن عَظُمت ، ولا تكبر فى عينـه المواهب وان جَسُمَتْ ، ولم يكن فى خلق كافور من الصبر على اتساع البَذْل ، ولا من الرغبة فى أهل الآداب والفضل ، ماعند سيف الدولة من ذلك . فزهد فيه بعد رغبة ، وعلاه بالمايل ، وساوفه بالجزيل ، ورأى المتنبي ان الاسود ليس له فى قلبه من الحب، والقرب، ماله عند سيف الدولة، فلم يدل عليه ، ولا أكثر من التعتب والعتاب ما يعطفه اليه ، فأضاع وضاع ، وكان يتوقع الايقاع ، وكان بجسمه وحاله عنده سقم ، كما ادعى عند سيف الدولة وكذب، والكفران النعمة نقم، ثم نجاه ركوب ظهر الهروب، وأقبل يعترف لسيف الدولة بالذنوب ، وكان لحنه وشعره شريفين ، وعقله ودينه ضعيفين ومع ذلك فسقطاته كثيرة الا أن محاسنه أكثر وأوفر . والمرء يعجز لامحالة وكان يميل الى تعقيد الكلام ويتعمده ، على علمه بقبحه فيقول من ذلك يصف ناقته

فتبيت تسئد مسئداً فى نيها ـ أسادها فى المهمه الانضاء

ويقول فى مدح

أنى يكون أبا البرية آدم   وأبوك والثقلان أنت محمد

ويقول في بيت آخر من آخر قصيدة يمدح بها والبيت لا يتعلق بما قبله فيما يظهر ولا بعده بشيء

كأنك ماجاورت من بان جوده   عليك ولا قاومت من لم تقاوم

ومثل هذا له كثير وهذه الاجناس من أبيات وان ظهرت معانيها بعد استقصاء، وأطاعت غوامضها بعد استقصاء، فهي مذمومة المسلك وان اطلعت منها على أجزل الافادة، فكيف اذا حصلت منها على السلامة بلا زيادة، وكان أيضا يغفل عن اصلاح شيء من كلامه على قرب ذلك الاصلاح من الفهم، مثل قوله يرثى أخت سيف الدولة

يا أخت خير أخ يابنت خير أب   كناية بهما عن أشرف النسب

فجعل يا أخت خير ويابنت خير كناية عن أشرف النسب . والكناية لاتكون الا لعالٍ تتسع فيها التهم لان الكناية ستر وتعمية فما بال شرف النسب يورّى عنه تورية المعائب، ويكنى عنه والتصريح به من المفاخر والمناقب .

وقد غفل عن اصلاح هذا بلفظ فصيح ، ومعنى صحيح قد كاد يبرز من الجنان ، الى طرف اللسان ، لو فطن اليه

يا أخت خير أخ يابنت خير أب   غنى بهذا وذا عن أشرف النسب

قال أبو الريان وهذه الجملة التي أبنت لك فيها مادخل على الشعراء المجيدين من التقصير والغفلة والغلط ، وغير ذلك كافية ومغنية عن ايراد سوى ذلك وان لقيتها بجودة بحث وصحة قياس ، لم تحتج الى كشف عيوب أشعار الناس ، ولعل قائلا يقول مال على هؤلاء وترك سواهم لميله على من بكت ، وتفضيله من عنه سكت ، فقل لمن قال ذلك الامر على خلاف

ماظننت لم أذكر الا الافضل فالافضل والاشهر فالاشهر ، اذ كانت أشعارهم هى المروية ، فالحجة بهم وعليهم هى القوية ، فقد نقلته على من ميلى عليهم الى ميلى بالحق اليهم ، قال أبو الريان واما نقد المستحسن فتمثيله لك يعظم ويتسع لكثرته (فلا يسعنا ايراده وكفى ما سلم فى جميع ماأوردناه فهو فى حيز السالم ثم تتسع) طبقات الجودة فيه . وأحسن الحسن منه مااعتدل مبناه وأغرب معناه ، وزاد فى محمودات الشعر على سواه ، ثم يمدح الأدون فالأدون بمقدار انحطاطه الى حيز السلامة ، ثم لامدح ولا كرامة ، قال محمد فقلت لله درك يا أبا الريان فما الين جانبك، وما أقرب غائبك، وماأنجح طالبك ، وما أسعد بك صاحبك ، فقال أنجح الله مطالبك وقضى مآربك وصفى من القذى مشاربك ، وبث فى الحواضر والبوادى مناقبك

نجزت مسائل الانتقاد ، بلطف الفهم والانقياد، وهو إعلام الكلام
لابن شرف القيروانى على لسان ابى الريان ، الصلت بن السكن
من سلامان ، عليه من الله تعالى الرحمة والرضوان
والروح والريحان ، بمنه ، وكرمه ، آمين[1]

---

(١) الى هنا انتهت النسخة التونسية وما يلى ذلك فهو من الأصل المعتمد الذى

قال محمد : وطلبتني نفسي بمعرفة مذهب ابي الريان في اختيار الشعر ، واغتنمت جوده بما أردته ووجوده متى طلبته : فقلت له يوما : يا أبا الريان أبت نفسي ان ترتوى من مائك ولا ان تسأم من طيب غذائك ، وقد أدلني لين جانبي عليك ، وسهل على مباحثتك يسر الاشياء لديك ، فتبسم ثم قال ما الفنّ الذى تريد ؟ ومن أى صنفٍ تستزيد ؟ قلت اقتراحى على فهمك وكرمك أن تنشدني ولا تملّ ، وتملى على ولا تكل من مستحسن الاشعار عندك ما أجمع بين ميزك فيه ، ونقدك على الاختيار : قال نعم ونعما أنشدك ما حضرني ، ولعله يجذب ما نافرني ، فاني رأيت الشيء بالشيء يذكر ولا تخالني أقدم الاجود فالاجود ، لكني أقدم ما اعتفاني ، وأؤخر ما عفاني ، وسأبدأ بالابيات المفردات والمزدوجات وأؤخر القطع العشريات ، والقصائد المعربات ، فقد رويت منها ما استغربت معناه ، واستظرفت مغزاه ، قلت : هات ، لافض فوك ، ولا انفض محتفوك ، فقال : خذ الاشعار الحكمية والابيات المثلية وأنشدني

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد

جرت الرياح على محل ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فاذا النعيم وكل ما يلهى به يوما يصير الى بلىً ونفاد

ولست بمُستبقٍ أخاً لا تلمّه على شَعَثٍ أىّ الرجال المهذّبُ

قد يجمعَ المالَ غيرُ آكلِه ويأكل المالَ غيرُ مَن جمَعَه

فخذ من الدهر ما أتاك به مَن قرّ عينَا بعيشه نفعَه

رب حلم أضاعه عدم المال	وجهل غطى عليه النعيم
لن يلبث القرناء أن يتفرقوا	ليل يكر عليهم ونهار
من لم يزل يستحمل الناس نفسه	ولا يغنها يوماً من الدهر يسأم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه	يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
ومن لم يغمض عينه عن صديقه	وعن بعض ما يأتي يمت وهو عاتب
ومن يتتبع جاهداً كل زلة	يجدها ولا يسلم له الدهر صاحب
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه	لا يذهب العرف بين الله والناس

وأنشد في الغزل :

وعفراء أدنى الناس عندي مودة	وعفراء عني المعرض المتواني
جعلت لعراف اليمامة حكمه	وعراف نجد إن هما شفياني

وأنشد :

فلو أن ما أشكو إليكم شكوته	إلى جبل لاهتد أو لتضعضعا
سلام على الوصل الذي كان بيننا	تداعت به أركانه فتقطعا

وأنشد :

يا نازح الدار عن قربي ومسكنه	في حبة القلب لم تنزح بك الدار
عندي أحاديث في قلبي مخبأة	حتى أراك وأخبار وأخبار

وأنشد :

فأنت الذي أشرقت عيني عامدا	وعلمتنا بالهجر أن نتجرع الغمضا

وأغريتها بالدمع حتى جفونها ... اتنكر من فقد الكرى بعضها بعضا
فان كان لايرضيك الا منيتي ... وطالت حياتي للشقا فمتى ترضى

وأنشد :

أيا رفقة من آل بصرى تحملوا ... تؤم الحمى لُقّيت من رفقة رشدا
اذا ماوصلتم سالمين فبلغوا ... تحية من قد ظن ان لايرى نجدا
وقولوا تركنا العامرى مولها ... بنار الهوى والشوق قد بلغ الجهدا
حفظنا لكم عهد الهوى مذ نشأتم ... فماذا عليكم لو حفظتم لنا عهدا

وأنشد :

ودعتها لفراق فاشتكت كبدى ... وشبكت يدها من لوعة بيدى
وغادرت أعين الواشين فانصرفت ... تعض من غيظها العناب بالبرد
فان أول عهد العين يوم نأت ... بالدمع آخر عهد القلب بالجلد

وأنشد :

قد رابني رمزات قومك مثل ما ... راب العليل ترامز العوّاد
هلا سألت حداتكم يوم النوى ... أسرَوا بعيسك أم سروا بفؤادى
لولا الدموع وفيضهن لاحرقت ... أرض الوداع حرارة الاكباد

وأنشد :

شمّاك لى قوم وقالوا انها ... لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم ... انى ليعجبنى المحب الجاحد
والله لو قست القلوب كقلبها ... ما رق للولد الصغير الوالد
يقع البلاء وينقضى عن أهله ... وبلاء حبك كل يوم زائد

قال محمد ، وقال ابو الريان : من أحسن المراثي وأفصحها وأوجعها وأقرحها قول قتيلة أخت النضر بن الحارث وقد قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرا وكان من بني عبد الدار :

يا راكبا ان الأثيل مظنة ... عن صبح خامسة وأنت موفق
إقرا السلام ثرى هناك ورمة ... مهجورة ما أن تجيب فتنطق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... لله ارحام هناك تمزق
أمحمد ها أنت صنو نجيبة ... النجيبة والفحل فحل معرق
النضر أقرب من قتلت قرابة ... وأحقهم لو كان عتق يعتق
ما كان ضرك لو مننت فربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

وأنشد :

قد كنت لي حبلا ألوذ بظله ... فاليوم تسلمني لاجرد ضاح
فاليوم أخضع للذليل وأتقي ... ظلمي وأدفع ظالمي بالراح

وأنشد :

أيا شجر الخابور مالك مورقا ... كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى ... ولا المال الا من قنى وسيوف

وأنشد :

يا غائبا عنا بعيد الاياب ... فمضني فقدك برد الشراب
لهفي على لبسك ثوب البلى ... من قبل ابلائك ثوب الشباب

وأنشد :

مضى أهلك الأدنون الا أقلهم   وبادوا كما بادت أوائل جرهم
مضوا يستلذّون المنايا حفيظة   وحفظا لذاك السؤدد المتقدم
فما طعنوا الا برمح مؤمّلٍ   ولا ضاربوا الا بسيف مثلم
ولا عجب للأسد ان ظفرت بها   كلاب الاعادى من فصيح وأعجم
فحَرْبة وحْشِيٍّ سقت حمزة الردى   وموت عليّ من حسام ابن ملجم

وأنشد :

حنيني الى ذاك القليب ومن به   وقلّ الى ذاك القليب حنيني
فوا أسفاً ألا أكون شهدته   فخاشت شمالى حوله ويميني
وكنت ألاقى الموت أحمر دونه   كما كان يلقى الدهر أغبر دوني

وأنشد :

وقد كان فوت الموت سهلا فرده   اليه الحفاظ المرّ والخُلق الوَعْرُ
ونفس تعاف الدم حتى كأنما   هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت فى مستنقع الموت رجله   وقال لها من تحت أخمصك الحشر
تردّى ثياب الموت حمراً فما أتى   لها الليل الا وهي من سندس خضر

وأنشد :

ولم أنس مشى الجود حول سريره   بأكسف بال يُستَقَلُّ ويُظلَمُ
وتكبيره خمساً عليه معالنا   وان تكبير المصلين أربع
وما كنت أدرى يعلم الله قبلها   بأن الندى فى أهله يتشيع

وأنشد :

لعمرك ما الرزية فقدُ مالٍ   ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقدُ قَرْمٍ   يموت لموته خلق كثير

قال ابو الريان : ويعجبني من المدح

اذا وردوا بطحاء مكة أشرقت ... بيحيي وبالفضل بن يحيي وجعفر
فما خلقت الا لجود أكفهم ... وأرجلهم الا لأعواد منبر

وأنشد :

ولما وردنا سدة الملك أخرت ... رجال عن الباب الذي أنا داخله
فسلمت واعتافت جناني هيبة ... تنازعني القول الذي أنا قائله
فلما تبينت الطلاقة وانثني ... الىّ ببشر آنستني مخايله
وأفضيت من بعد الى ذي مهابة ... أقابل بدر التم حين أقابله
دنوت فقبلت الندى من يد امرىء ... جميل محياه بساط أنامله
صفت مثلما تصفو المدام خلاله ... ورقت كما رق النسيم شمائله

وأنشد :

علقت بحبل من حبال محمد ... أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهري بظل جناحه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تسل الايام عني مادرت ... وأين مكاني ماعرفن مكاني

وأنشد

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها ... وجاءت بما قد وطدت من مناقب
فانتم بذى قار أمالت سيوفكم ... عروش الذين استرهنوا قوس حاجب
اذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد ... تقطع مابيني وبين النوائب
يدي أقبح الاشياء أونة آمل ... كستها يد المأمول حلة غائب
وأحسن من نور تفتحه الصبا ... بياض العطايا في سواد المطالب

وأنشد :

أقلوا عليهم لا أبا لابيكم … من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البناء … وان عاهدوا أوفوا وان شدوا

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها … وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا

وان قال مولاهم على كل حادث … من الامر ردوا فضل أحلامكم ردوا

وأنشد :

كريم نفضت الناس لما بلغته … كأنهم ما خف من زاد قادم

وكاد سروری لا يفی بندامتی … علی ترکه فی عمری المتقادم

وأنشد :

ولم يصفني بالود الا ابن حرة … كريم اذا عد الكرام أديب

كعثمان أو كالفضل أو كمحمد … وما منهم الا أغر نجيب

وكالحسن المدلی الی حباله … وقد ضمنی والنائبات قليب

وأنشد :

سأشكر عمراً ماتراخت منيتی … أيادی لم تمنن وان هی جلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها … فكانت قذى عينيه حتى تجلت

وأنشد :

أغنی وأقنی وما يكلفنی … تقبيل كف له ولا قدم

قام بحملی لما قعدت به … ونمت عن حاجتی ولم ينم

وأنشد :

وقيدت نفسي في ذراك محبة … ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

اذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلى ... مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وأنشد

متصعلكين على كثافة ملكهم ... متواضعين على عظيم الشان

يتقبلون ظلال كل مطهم ... قيد الظليم وربقة السرحان

يا من يقتل من يشاء بسيفه ... أصبحت من قتلاك بالاحسان

وأنشد :

وفى صورة الرومى ذى التاج ذلة ... لأبلج لا تيجان الا عمائمه

تقبل أفواه الملوك بساطه ... ويكبر عنها كمه وبراجمه

وأنشد

أيا موصل النعمى على كل حالة ... الى قريبا كنت أو نازح الدار

ويامن رآنى حيث كنت بعاينه ... وكم من أناس لا يرونك بأبصار

ويامقبلا والدهر عنى معرض ... يقشعم عنى بين ناب وأظفار

وأنشد :

أو ليتنى نعما أبوح بشكرها ... وكفيتنى كل الامور بأسرها

فلأشكرنك ما حييت وان أمت ... فلتشكرنك أعظمى فى قبرها

وأنشد :

قوم بلوغ الغلام عندهم ... طعن نحور الكماة لا الحلم

اذا تولوا أعداءه كشفوا ... وان تولوا صنيعه كتموا

تظن من فقدك اعتدادهم ... أنهم أنعموا وما علموا

أعيذهم من صروف دهرهم ... فانه فى الكرام متهم

(نسخة ماجاء فى خاتمة الكتاب)

قال محمد وانقضى هذا المجلس وبه تم الكتاب وهو إعلام الكلام لابن شرف القيروانى ، على لسان أبى الريان، الصلت بن السكن ، من سلامان ، أحد النحارير الاعلام ، عليه الرحمة والرضوان ، والروح والريحان فى أعالى غرف الجنان

وكتبه المصطفى بن احمد بن محب الدين الشافعى حامداً لله تعالى ومصليا على رسوله محمد وآله الطاهرين ومُسَلما فى أواخر شهر رمضان المبارك من شهور سنة ثلاث عشرة والف من الهجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام وغاية الاجلال والاعظام

